

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٠ - سُورَةُ عَبَسَ

وتسمى الصاخبة . مكية وآيها اثنتان وأربعون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

[١] (عَبَسَ وَتَوَلَّى)

[٢] (أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)

« عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى » .

روى ابن جرير^(١) : وابن أبي حاتم : عن ابن عباس ، قال : بينا رسول الله ﷺ يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبدالمطلب ، وكان يتصدى لهم كثيراً ، ويحرص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل إليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم ، يمشى وهو يناجيه . فجعل عبد الله يستقرى النبي ﷺ آية من القرآن وقال : يا رسول الله ! علمنى مما علمك الله . فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس في وجهه وتولى وكره كلامه . وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه ، وأخذ ينقلب إلى أهله ، أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عَبَسَ وَتَوَلَّى) الآيات . فلما نزل فيه ما نزل ، أكرمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، وقال له رسول الله ﷺ : ما حاجتك ؟ هل تريد من شىء ؟ وإذا ذهب من عنده قال : هل لك حاجة فى شىء ؟ .

قال ابن كثير : وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة . والضحاك . وابن زيد . وغير واحد من السلف والخلف ؛ أنها نزلت فى ابن أم مكتوم . والمشهور أن اسمه عبد الله . ويقال عمرو . والله أعلم . انتهى .

وقال الرازى : أجمع المفسرون على أن الذى عبس وتولى هو الرسول صلوات الله عليه . وأجمعوا أن الأعمى هو ابن أم مكتوم . قال الشهاب : وهو مكى قرشى من المهاجرين الأولين .

(١) انظر الصفحة رقم ٥١ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

وكان النبي ﷺ يستخلفه على المدينة في أكثر غزواته . وكان ابن خال خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها .

قيل : عمى رضى الله عنه بعد نور . وقيل : ولد أعمى . ولذا لقبته أمه أم مكتوم . والتعرض لعنوان عماء ، إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه ﷺ وتشاغله بالقوم : وإما لزيادة الإنكار . كأنه قيل : تولى لسكونه أعمى . وكان يجب أن يزيد لهماه ، تعطفاً ورتوفاً وتقريباً وترحيباً .

القول في تأويل قوله تعالى :

[٣] (وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ وَزَرًا كَرِيًّا)

[٤] (أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرَى)

[٥] (أَمَّا مَنْ أَسْتَفْتَى)

[٦] (فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى)

[٧] (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى)

[٨] (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى)

[٩] (وَهُوَ يَخْشَى)

[١٠] (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى)

« وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ وَزَرًا كَرِيًّا » أى يتطهر - بما يتلقن منك - من الجهل أو الإثم . وفى الالتفات إلى الخطاب إنكار للمواجهة بالعتب أولاً ، إذ فى الغيبة إجلال له ﷺ ، لا يهام أن من صدر منه ذلك غيره ، لأنه لا يصدر عنه مثله . كما أن فى الخطاب إيناساً بعد الإيجاش ، وإقبالاً بعد إعراض .

وقال أبو السعود : وكلمة (لعل) مع تحقق التزكى ، واردة على سنن الكبرياء أو على اعتبار معنى الترجى بالنسبة إليه عليه الصلاة والسلام . للتنبيه على أن الإعراض عنه ، عند كونه مرجو التزكى ، مما لا يجوز . فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكى ؟ كما في قولك (لملك ستندم على ما فعلت) وفيه إشارة إلى أن إعراضه كان لتزكية غيره . وأن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر أصلاً « أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرَى » أى يعتبر ويتعظ فتنفعه موعظتك . وتقديم التزكية على التذكر ، من باب تقديم التخليّة على التحلية .

« أَمَّا مَنْ أَسْتَمْنَى » أى بماله وقوته عن سماع القرآن والهداية والموعظة « فَأَنْتَ لَهُ وَتَصَدَّى » أى تتعرض بالإقبال عليه ، رجاء أن يسلم ويهتدى « وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَبُ » أى وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالإسلام . إن عليك إلا البلاغ . قال الرازى : أى لا يبلغن بك الحرص على إسلامهم ، إلى أن تعرض عن أسلم ، للاشتغال بدعوتهم « وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى » أى يسرع فى طلب الخير « وَهُوَ يَخْشَى » أى يخاف الله ويتقيه « فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى » أى تعرض وتنشغل بغيره .

تنبيهات :

الأول : قال السيوطى فى (الإكليل) : فى هذه الآيات حث على الترحيب بالفقراء والإقبال عليهم فى مجالس العلم وقضاء حوائجهم ، وعدم إثارة الأغنياء عليهم . وقال الزمخشرى : لقد تأدب الناس بأدب الله فى هذا تأدباً حسناً . فقد روى عن سفیان الثورى رحمه الله أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء .

الثانى : فى هذه الآيات ونحوها ، دليل على عدم ضنه ﷺ بالغيب . قال ابن زيد : كان يقال : لو أن رسول الله ﷺ كتم من الوحي شيئاً ، كتم هذا عن نفسه .

الثالث : قال الرازى : القائلون بصدور الذنب عن الأنبياء عليهم السلام ، تمسكوا

بهذه الآية وقالوا : لما عاتبه الله في ذلك الفعل ، دل على أن ذلك الفعل كان معصية . وهذا بعيد . فإننا قد بينا أن ذلك كان هو الواجب المتمين ، إلا بحسب هذا الاعتبار الواحد . وهو أنه يوم تقديم الأغنياء على الفقراء . وذلك غير لائق بصلافة الرسول عليه السلام . وإذا كان كذلك ، كان ذلك جارياً مجرى ترك الاحتياط وترك الأفضل ، فلم يكن ذلك ذنباً البتة .

وأجاب الإمام ابن حزم في (الفِصَل) بقوله : وأما قوله (عَبَسَ وَتَوَلَّى) الآيات فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش ، ورجا إسلامه . وعلم عليه السلام أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناس كثير ، وأظهر الدين . وعلم أن هذا الأعمى الذي يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته ، وهو حاضر معه . فاشتغل عنه عليه السلام بما خاف فوته من عظيم الخير ، عما لا يخاف فوته . وهذا غاية النظر في الدين والاجتهاد في نصره القرآن في ظاهر الأمور ونهاية التقرب إلى الله ، الذي لو فعله اليوم منا فاعل ، لأُجِرَ . فعاتبه الله عز وجل على ذلك ، إذ كان الأولى عند الله تعالى أن يقبل على ذلك الأعمى الفاضل البر التقى ، وهذا نفس ما قلناه ! انتهى .

وقال القاشاني : كان عليه السلام في حجر تربية ربه ، لكونه حبيباً . فكما ظهرت نفسه بصفة حجبت عنه نور الحق ، عوتب وأدب . كما قال (١) : (أدبني ربي فأحسن تأديبي) إلى أن تخلق بأخلاقه تعالى . انتهى . وقوله سبحانه :

القول في تأويل قوله تعالى :

[١١] (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ)

[١٢] (فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ)

[١٣] (فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ)

(١) في كشف الخفاء (١٦٤) : رواه العسكري عن علي رضي الله عنه .

[١٤] (مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ)

[١٥] (بِأَيْدِي سَفَرَةٍ)

[١٦] (كِرَامٍ بَرَرَةٍ)

[١٧] (قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)

« كَلَّا » ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله . قال أنس رضى الله عنه : كان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه . رواه أبو يعلى . وقوله تعالى « إِنَّهَا تَذْكَرَةٌ » أى إن المعاتبة المذكورة موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها .

قال الشهاب : وكون عتابه على ما ذكر عظة ، لأنه مع عظمة شأنه ومنزلته عند الله إذا عوتب على مثله . فما بالك بغيره ؟ وجوز عود الضمير للآيات وللسورة ، وللوصية بالمساواة بين الناس ، ولدعوة الإسلام . وقوله تعالى « فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ » أى حفظه . على أنه من (الذكر) خلاف النسيان : أو اتعظ به ، من (التذكير) .

قال الزمخشري : وذكر الضمير لأن التذكرة فى معنى الذكر والوعظ . وقيل : الضمير للقرآن ، والكلام استطراد « فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ » بمعنى صحف آيات التنزيل وسوره «مَرْفُوعَةٍ» أى عالية المقدار «مُطَهَّرَةٍ» من التغير والنقص والضلالة «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» جمع سافر بمعنى سفير . أو هو الذى يسمى بين قومه بالصلح والسلام . يقال : سفر بين القوم ، إذا أصلح بينهم . ومنه قوله (١) .

وما أَدْعُ السَّفَارَةَ بَيْنَ قَوْمِي وَمَا أَمْشِي بِيغْشِي ، إِنْ مَشَيْتُ

(١) قال فى حاشية ابن جرير (٣٠/٥٤) : البيت من شواهد الفراء فى معانى القرآن (٣٥٨)

قال : وقوله بأيدى سفرة وهم الملائكة ، واحدهم سافر . يقال : سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم . فجعلت الملائكة ، إذ نزلت بوحي الله وتأديته ، كالسفير الذى يصلح بين القوم .

والسفرة ، إما الملائكة لأنهم يسفرون بالوحي بين الله تعالى ورسله ، كأنه محمول بأيديهم . وإما الأنبياء لأنهم وسائط في الوحي يبلغونه للناس « كِرَامِمْ » أى عنده تعالى ، لاصطفائهم للرسالة « بَرَرَةٍ » أى أخيار ، جمع (بَارٍ) وهو صانع البر والخير .

« قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ » قال الرازى : اعلم أنه تعالى لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صفانيد قريش على فقراء المسلمين ، عجب عباده المؤمنين من ذلك . فكأنه قيل : وأى سبب فى هذا العجب والترفع ؟ مع أن أوله نطفة قدرة وآخرة جيفة مذرة . وفيما بين الوقتين حال عذرة . فلا جرم ، ذكر تعالى ما يصلح أن يكون علاجاً لعجبهم ، وما يصلح أن يكون علاجاً لكفرهم . فإن خلقة الإنسان تصلح لأن يستدل بها على وجود الصانع وعلى القول بالبعث والحشر والنشر . ومرجهه إلى أن المراد بالإنسان من استغنى عن القرآن الكريم الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة للإقبال عليه والإيمان به . وجوز أن يراد بالإنسان الجنس المنتظم للمستغنى ، ولأمثاله من أفراد ، لا باعتبار جميع أفراد .

لطائف :

الأولى : قال الزمخشري : (قُتِلَ الْإِنْسَانُ) دعاء عليه وهى من أشنع دعواتهم . لأن القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائنها .

الثانية : قال ابن جرير^(١) : فى قوله (مَا أَكْفَرَهُ) وجهان أحدهما التعجب من كفره مع إحسان الله إليه وأياديه عنده . والآخر ما الذى أكفره ؛ أى أى شئ أكفره . وعلى الثانية ، فالهمزة للتصيير كـ (أَعَدَّ الْبَعِيرُ) .

الثالثة : قال الزمخشري فى هذه الآية : ولا ترى أسلوباً أغلظ منه ولا أخشن متناً ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطاً فى المذمة ، مع تقارب طرفيه ولا أجمع للإمعة ، على قصر متنه . وسره ما أشار له الرازى من أن قوله (قُتِلَ الْإِنْسَانُ) تنبيه على أنهم استحقوا أعظم أنواع العقاب . وقوله (مَا أَكْفَرَهُ) تنبيه على أنهم اتصفوا بأعظم أنواع القبائح والمنكرات .

(١) انظر الصفحة رقم ٥٤ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

الرابعة : أفاد في (الكشف) أن الدعاء ليس على حقيقته ، لامتناعه منه تعالى . لأن منشأ العجز . فالمراد به إظهار السخط باعتبار جزئه الأول، وشدة الذم باعتبار جزئه الثاني .
 أى لاستحالة التعجب بمعناه المعروف أيضاً . وقوله تعالى :
 القول في تأويل قوله تعالى :

[١٨] (مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ)

[١٩] (مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ وَقَدَّرَهُ)

[٢٠] (ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ)

[٢١] (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ)

« مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ » شروع في بيان إفراطه في الكفر، بتفصيل ما أفاض عليه من مبدأ فطرته إلى منتهى عمره ، من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة، مع إخلاله بذلك . وفي الاستفهام عن مبدأ خلقه ، ثم بيانه بقوله تعالى « مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ » تحقير له .
 أى من أى شيء حقير مهين خلقه ؟ من نطفة مذرة خلقه « وَقَدَّرَهُ » أى فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال . أو فقدره أطواراً إلى أن تم خلقه « ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ » أى سهله . وهو مخرجه من رحم أمه بعد اجتفانه وتعاصيه . أو سبيل الإسلام .

قال ابن زيد هده للإسلام الذي يسره له وأعلمه به . أى بما غرز في فطرته من الخير ، وأودع في غريزته من وجدان معرفة الخالق . وقال مجاهد: يعنى سبيل الشقاء والسعادة وهو كقوله^(١) (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ) واختاره أبو مسلم قال : المراد من هذه الآية هو المراد من قوله^(٢) (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) فهو يتناول التمييز بين كل خير وشر يتعلق بالدنيا، وبين كل خير وشر يتعلق بالدين . أى جعلناه متمكناً من سلوك سبيل الخير والشر . والتيسير يدخل

(١) [٧٦ / الإنسان / ٣] . (٢) [٩٠ / البلد / ١٠] .

فيه الإقذار والتعريف والعقل وبعثة الأنبياء وإزال الكتب . نقله الرازي . « ثُمَّ أَمَاتَهُ وَفَأَقْبَرَهُ » أى جمعه ذا قبر يوارى فيه ، تسكرمة له ، ولم يجعله مطروحاً على وجه الأرض للطير والسباع ، كالحيون .

قال الفراء : ولم يقل (فقبره) لأن القابر هو الدافن بيده ، والقبر هو الله تعالى . يقال (قبر الميت) إذا دفنه . و (أقبر الميت) إذا أمر غيره بأن يجعله فى القبر . وقال ابن جرير (١) : القابر هو الدافن الميت بيده كما قال الأعشى :

لو أسندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٢٢] (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ)

[٢٣] (كَلَّالًا لَّمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ)

[٢٤] (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ)

[٢٥] (أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا)

[٢٦] (ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا)

[٢٧] (فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا)

[٢٨] (وَعِنَبًا وَقَضْبًا)

[٢٩] (وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا)

[٣٠] (وَحَدَادٍ بَقِيعًا)

(٣) انظر الصفحة رقم ٥٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية) .

[٣١] (وَفَكِهَةٌ وَأَبًا)

[٣٢] (مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَمِ لَكُمْ)

« ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ » أى بعثه بعد مماته وأحياه. وإنما قال (إِذَا شَاءَ) لأن وقت البعث غير معلوم لأحد. فهو موكول إلى مشيئة الله تعالى. متى شاء أن يحيي الخلق أحياءم. قال الشهاب: وتخصيص النشور به دون الإماتة والإقبار، لأن وقتهما معين إجمالاً، على ما هو المعمود فى الأعمار الطبيعية.

« كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ » قال ابن جرير^(١): أى ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر، من أنه قد أدى حق الله عليه، فى نفسه وماله، فإنه لما يؤد ما قرَضَ عليه من الفرائض، ربه.

وقال الفاشانى: لما بين أن القرآن تذكرة للمتذكرين، تعجب من كفران الإنسان واحتجابه حتى يحتاج إلى التذكير. وعدد النعم الظاهرة التى يمكن بها الاستدلال على المنعم بالحس، من مبادئ خلقته، وأحواله فى نفسه، وما هو خارج عنه مما لا يمكن حياثه إلا به. وقرر أنه مع اجتماع الدليلين، أى النظر فى هذه الأحوال الموجب لمعرفة الموجد المنعم والقيام بشكره، وسماع الوعظ والتذكير بنزول القرآن، لما يقضى فى الزمان المتناول ما أمره الله به من شكر نعمته، باستعمالها فى إخراج كاله إلى الفعل، والتوصل بها إلى المنعم. بل احتجب بها وبنفسه عنه. انتهى.

ولما فصل تعالى النعم المتعلقة بحدوثه، تأثرها بتعداد النعم المتعلقة ببقائه. فقال سبحانه « فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ » أى فإن لم يشهد خلق ذاته، وعى عن الآيات فى نفسه، وأصر على جحوده وتوحيد ربه، فلينظر إلى طعامه وما كاله الذى هو أقرب الأشياء لديه. ماذا صنعنا فى إحدائه وتميئته لأن يكون غذاء صالحاً. وقوله تعالى « أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ » أى من

(١) انظر الصفحة رقم ٥٦ من الجزء الثلاثين (طبعة الحلبي الثانية).

الزئ « صَبًّا » أى شديداً ظاهراً . وقد قرئء بكسر همزة (إنا) على الاستئناف المبنى لكيفية حدوث الطعام ، وبالفتح على البدلية ، بدل اشتغال . بمعنى سببية الأول للثانى . أو تقوم الثانى بالأول . فهو من اشتغال الثانى عليه أو بدل كلّ ، ادعاء « ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا » أى صدعناها بالنبات . أو شققنا أجزاءها بعد الرى لى تخلل الهواء والضياء فى جوفها « فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا » يعنى حب الزرع . وهو كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما من الحبوب « وَعَيْنَبًا وَقَضْبًا » وهو كل ما أكل من النبات رطباً ، كالقثاء والخيار ونحوها . سعى قضباً لأنه يقضب ، أى يقطع مرة بعد أخرى « وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ الْبساتين ذوات الأشجار المثمرة ، عليها حوائط تحيط بها « غُلْبًا » جمع غلباء أى ضخمة عظيمة . وعظمها إما لاتساعها البالغ حد البصر ، أو لغلظ أشجارها وتكاثفها والتفافها « وَفَاكِهَةً » أى مما يؤكل من ثمار الأشجار « وَأَبًّا » وهو المرعى الذى تأكله البهائم من العشب والنبات « مَتَعًا لَكُمْ وَلِأَنعَمِكُمْ » أى تمتعاً . مفعول له ل (أنبتنا) أو مصدر حذف فعله وجرد من الزوائد . أى متعكم بذلك متاعاً ، وجعلكم تنتفعون به أنتم وأنعامكم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

[٣٣] (فَإِذَا جَاءتِ الصَّاعَةُ)

[٣٤] (يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ)

[٣٥] (وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ)

[٣٥] (وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ)

[٣٧] (لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ)

[٣٧] (وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ)

[٣٩] (ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ)

[٤٠] (وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ)

[٤١] (تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ)

[٤٢] (أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ)

« فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ » بمعنى الداهية الشديدة ، وهي صيحة القيامة وصوت زلزالها الهائل المصم للآذان . يقال صخه يصخه ، ضرب أذنه فأصمها . وصاح بهم صيحة تصخ الآذان ، وقد صخ صخيخاً ، وهو صوته إذا قرع . وصخ لحديثه إذا أصاخ له ، بمعنى استمع كما في (الأساس) ويجوز على الأخير أن تجعل بمعنى المستمعة ، مجازاً في الإسناد . وجواب (إذا) محذوف يدل عليه ما بعده . كيشغل كل بنفسه ، أو افترق الناس « يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ * وَأَبِيهِ * وَصَحْبَيْتِهِ » أي زوجته « وَبَنِيهِ » أي لاشتغاله بنفسه ، وعلمه بأنهم لا ينفعون .

قال الشهاب : يعني أن الإقبال عليهم إما للنفع أو للانتفاع ، وكلاهما منتف لاشتغاله بنفسه عن نفس غيره ، وعلمه بعدم نفعه . وتأخير الأحب فالأحب للمبالغة . فهو للترقى . كذا قيل .

قال الشهاب : والظاهر أنه لم يقصد ذلك لاختلاف الناس والطباع فيه « لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ » أي يكفيه في الاهتمام به . كأن ذلك الهم الذي نزل به ، قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع لهم آخر ، فصار شبيهاً بالفتى « وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ » أي مضيئة « ضاحكة مُّسْتَبْشِرَةٌ » أي مسرورة بنيل كرامة الله والنعم المتزايد ، وهي وجوه المؤمنين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وقدموا من الخير والعمل الصالح ماملأوا به صنفهم « وَوَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ » أي غبار وكدورة « تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ » أي تغشاها ظلمة « أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ » أي الفسقة الذين لا يباليون ما أتوا به من معاصي الله ، وركبوا من محارمه ، فجوزوا بسوء أعمالهم وخبث نياتهم .